هل إسرائيل هو يعقوب

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

من المعلوم لدى الرسالات السماويّة الثلاثة أنَّ كلمة : ((إسرائيل)) اسم صفة ل : ((يعقوب)) عليه السلام .. فهل من دليلٍ في كتاب الله تعالى [القرآن الكريم] ينفي ذلك ؟ .. وهل من دليلٍ في كتاب الله تعالى [القرآن الكريم] يؤكّد ذلك أو يُشير إليه ؟ .. للإجابة على هذا الأمر لا بدَّ من الغوص في أعماق دلالات كتاب الله تعالى بتجرّد ، وبقواعد لسان كتاب الله تعالى ، وبمنهجيّة علميّة ، لمعرفة الإجابة الوافية الحاملة للدليل الدامغ الذي لا يختلف فيه عاقلان ناطقان بلسان كتاب الله تعالى ..

.. قصّة يعقوب عليه السلام واضحة في كتاب الله تعالى ، فيوسف ابنٌ ليعقوب ، ويعقوب ابنٌ لإسحاق ، وإسحاق ابنٌ لإبراهيم ، وإسماعيل عمٌّ ليعقوب كونه أخاً لإسحاق .. ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّ العمَّ والخال والجد بالاتّجاهين وصولاً إلى آدم وزوجه يُطلق عليهم اسم الأب ، وقد وقفنا – في الأبحاث الأُخرى وفي بعض البرامج – أكثر من مرّة عند هذا الأمر ..

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

العبارة ﴿ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ واضحة بأنَّ إسحاق والدٌ ليعقوب ، حيث يُوصَف بأنّه آخر أبٍ من آبائه ، ولا يمكن لكلمة [أب] في القرآن أن تصف الأخ .. أقول ذلك ردّاً على الذين يذرّون الرماد في أعين البسطاء أنَّ يعقوب أخٌ لإسحاق استشهاداً بالآية : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ ، فالبشرى بابن الابن [يعقوب] هي ذات البشرى بالابن [إسحاق] ، ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّ ابن الابن هو ابن ، كما أنَّ أب الأب هو أب ..

كيف سيكون إسماعيل مجرد موهوب لإبراهيم عليه السلام لرفع القواعد من البيت ، ويكون في الوقت ذاته أباً ليعقوب ؟ .. أليس إبراهيم أباً ليعقوب [بمعنى الجد] ؟ ، أليس إسماعيل أباً ليعقوب [بمعنى العم] ؟ ، أليس إسحاق أباً ليعقوب [بمعنى الوالد] ؟ .. كيف لمساعد الجد أن يكون أباً للحفيد ؟!!!! .. كيف ؟!!! ..

.. إسماعيل هو أبٌ ليعقوب [بمعنى العم] ، فإسماعيال أخ لإسحاق ، ولا توجد ذرّة شكٍّ أنَّ إبراهيم عليه السلام له ولدان [يذكران في القرآن] ، الكبير منهما هو إسماعيل ، والصغير منهما هو إسحاق :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾

والقول بأنَّ هبة إسماعيل لإبراهيم – هنا – تختلف عن هبة إسحاق لإبراهيم ، بأنَّ هبة إسماعيل هي هبة المساعد لإبراهيم في رفع القواعد من البيت ، بينما هبة إسحاق هي هبة الولد .. هذا القول .. لا علاقة له بالحدِّ الأدنى من إدراك قواعد لسان كتاب الله تعالى ولا بالحدّ الأدنى من المنطق .. نعم .. الهبة لها أنواع في القرآن الكريم ، وليست محصورة

بالولد .. هذا صحيح .. لكن .. عندما يشترك أكثر من فرد بهبةٍ واحدة ، فهذا يعني أنَّ الهبة المعنيّة هي ذاتها لكلِّ الأفراد المشتركين بهذه الهبة .. مثلاً .. في قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، أليس كلٌّ من إسحاق ويعقوب يُعدُّ هبةً من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، في إطار الذريّة ، حيث إسحاق ابناً لإبراهيم ، ويعقوب هو ابنُ ابنٍ لإبراهيم ، وكلاهما في إطار ذريّة إبراهيم عليه السلام ، كون ابن الابن يُعدَّ – في كتاب الله تعالى – ابناً ؟ .. هل لعاقل أن يقول : هنا هبة إسحاق غير هبة يعقوب ، واحدة مثلاً هبة ابن والأخرى هبة مساعد أو غير ذلك ؟ ..

.. حتّى في عرفنا البشري عندما يقول قائل : وهبت فلاناً بيتاً وسيّارة ، هل يقصد أنَّ هبة البيت من نوع يختلف عن هبة السيّارة ، لتكون – مثلاً – هبة البيت هبة تمليك ، بينما هبة السيّارة هبة استعمال دون تمليك ؟!!! .. أنا أعلم أنّني أتكلّم في بديهيّات يُدركها – بفطرته – كلُّ ناطق بلسان كتاب الله تعالى ، لكنّني أُجيب على تضليلٍ يقوم به المضلّلون حامله الأهواء والجهل بقواعد لسان كتاب الله تعالى ... النتيجة : هبة إسماعيل لإبراهيم هي ذاتها هبة إسحاق لإبراهيم ، حيث كلمة : ﴿ وَهَبَ ﴾ ترد مرّة واحدة ، ليتعلّق بها مفعولان به يُعطفان على بعضهما : ﴿ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ، وكلاهما هبة الولد ، بعد أن بلغ الكِبَر إبراهيم عليه السلام : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ ..

في الآية الكريمة ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، نرى الصيغة : ﴿ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، فالنبوّة والكتاب هي في ذريّة إبراهيم ، ولو أنَّ إسماعيل ليس من ذريّته – كما يفتري المفترون – لكانت النبوّة والكتاب محصورة في ذريّة إسحاق ويعقوب اللذين هما من ذريّة إبراهيم ، ولكانت الصيغة [وجعلنا في ذريَّتهِم النبوّة والكتاب] كونهم في إطار ذريّة واحدة .. لكن ..

الصيغة : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ تحصر النبوّة والكتاب في ذريّة إبراهيم وليس في الفرع [إسحاق يعقوب] ، فهناك فرعٌ آخر [غير فرع إسحاق يعقوب ، وهو فرع إسماعيل] سيخرج منه النبيُّ محمّدٌ عليه السلام ، حاملاً لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وهذا ما تؤكّده نصوصٌ أُخرى في كتاب الله تعالى ..

وممّا يُؤكّد أنَّ إسحاق ليس الولد الأوّل لإبراهيم عليه السلام هو قوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾

.. كلمة ﴿ نَافِلَةً ﴾ – هنا – تعني الهبة الزائدة .. فكلمة ﴿ نَافِلَةً ﴾ ترد مرّتين في القرآن الكريم ، في هذه الآية الكريمة ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ ، حيث كلمة ﴿ نَافِلَةً ﴾ – هنا – تعني العبادة الزائدة عن الفرض .. إذاً .. ﴿ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ معاً ، وهبهما الله تعالى لإبراهيم نافلةً عمّا طلبه من الصالحين : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ ، نلاحظ أنَّ البشرى بالغلام الحليم [إسماعيل] كانت إجابة على طلبه ، والفاء في كلمة ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ ﴾ واضحة جليّة ، بعد ذلك ، تمّت البشرى بإسحاق [الغلام العليم] كنبيٍّ هو أيضاً من الصالحين .. فإسماعيل [الغلام الحليم] هو الهبة الأصل التي كانت استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام ، لتكون الهبة الثانية بإسحاق عليه السلام [وابنه يعقوب] هبةً نافلةً [زائدة] وهبها الله تعالى لإبراهيم .. وسنقف – إن شاء الله تعالى – عند تحليل كلمة : ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ وفق قواعد لسان كتاب الله تعالى ، لنرى أنَّ دلالة هذه الكلمة : ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ تؤكّد أنّه هو الهبة التي كانت استجابةً لدعاء إبراهيم عليه السلام .. بمعنى : إستجابة الله تعالى بسمع دعاء إبراهيم ، ليكون إسحاق هبةً نافلة [زائدة] ..

.. في سورة يوسف نرى أنَّ يعقوب له اثنا عشر ولداً [يوسف وإخوته] ، وأنَّ يعقوب وأولاده ذهبوا إلى مصر واستقرّوا فيها ، وهذا أمرٌ لا خلاف فيه ما بين الرسالات السماويّة الثلاثة ، ويبيّنه القرآن الكريم بشكلٍ جلي في سورة يوسف .. إذاً .. اثنا عشر هم أبناء يعقوب [مع يعقوب وزوجته] استقرّوا في مصر منذ وجود يعقوب على قيد الحياة ، حيث أتى بهم يوسف كما هو معلوم ..

وكلمة ﴿ مِصْرَ ﴾ [غير المصروفة] معلومة الدلالة ، فيعقوب وأبناؤه دخلوا مِصر :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

.. و ﴿ مِصْرَ ﴾ هذه هي ذاتها الواردة في وصف الله تعالى لقول فرعون : ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ .. وهي ذاتها الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ..

.. ويوسف عليه السلام كان رسولاً ، وما يُؤكّد ذلك هو قول الذي يكتم إيمانه من آل فرعون ، حيث قال [في سياق الدّفاع عن موسى عليه السلام] :

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾

.. المخاطبون بقول هذا المؤمن قالوا : لن يبعث الله تعالى رسولاً من بعد يوسف عليه السلام ، وها هو موسى عليه السلام يُبعَث كرسول .. ما أعنيه : بالنسبة لأبناء يعقوب عليه السلام في مصر ، لا يُوجَد رسولٌ ما بين يوسف وموسى عليهما السلام ، وكلٌّ من يوسف وموسى يُعَدَّ رسولاً لبني إسرائيل ، وكلٌّ منهما هو من الفرع [إسحاق – يعقوب] كون النبوّة والكتاب – في هذا الفرع من فرعي إبراهيم عليه السلام – لا تخرج

عن ذريّة [إسحاق – يعقوب] ... موسى ويوسف عليهما السلام في سياقٍ واحد بالنسبة لنهج بني إسرائيل ، وربط المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه ما بين موسى الذي يدافع عنه ويوسف الذي جاءهم بالبيّنات ، إنّما هو لكون يوسف وموسى مِن الأمّة ذاتها ، وهي – بلا شك – بنو إسرائيل ..

.. من المعلوم أنَّ موسى عليه السلام من بني إسرائيل ، ولا توجد ذرّة شكٍّ في ذلك .. فخوف أمّه عليه من جنود فرعون ، وقذفه في التابوت وفي اليم ، إنّما كان لخوفها عليه من جنود فرعون الذين كانوا يذبّحون أبناء بني إسرائيل ويستحيون نساءهم :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

.. وموسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل من مصر ، حيث أغرق اللهُ تعالى فرعون وجنوده عندما لحقوا ببني إسرائيل وهم خارجون من مصر .. وهذه أمور معلومة ولا خلاف فيها ..

.. ومن المعلوم أنَّ الله تعالى قطَّع بني إسرائيل إلى اثني عشر سبطاً ، وأنّه انبجست لهم اثنتا عشرة عيناً حينما استسقى بنو إسرائيل موسى عليه السلام فضرب بعصاه الحجر ، كلُّ عينٍ يشرب منها سبطٌ من أسباط بني إسرائيل :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾

فكلمة ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ ترد في القرآن الكريم أربع مرّات ، وفي جميع مرّات ورودها نرى أنَّ الأسباط يردون في تسلسلٍ لا يتغيّر ، يبدأ بإبراهيم عليه السلام ، فإسماعيل [الابن

الأكبر لإبراهيم] ، فإسحاق [الابن الأصغر لإبراهيم] ، فيعقوب [ابن إسحاق] فالأسباط [أبناء يعقوب] :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾

﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾

.. ومن المعلوم أنَّ المحور الثاني لأبناء إبراهيم عليه السلام [وهو إسماعيل] استقرّ في مكّة حيث يُوجَد بيت الله تعالى المحرَّم ، ومن هذا الفرع خرج النبيُّ محمّدٌ عليه السلام كنتيجة لدعوة إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾

فإسماعيل عليه السلام الذي تمّ إسكانه عند بيت الله تعالى ، رفع القواعد من البيت مع أبيه إبراهيم عليهما السلام ، ومن ذريّة إسماعيل عليه السلام بُعث النبيُّ محمّدٌ عليه السلام حيث دعا لذلك إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

.. كلمة ﴿ ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ في العبارة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ واضحة جليّة أنّ إسماعيل في إطار ذريّة إبراهيم ، وإلاّ لما أضيفت كلمة ﴿ ذُرِّيَّتِ ﴾ بصيغة المفرد لمضاف إليه ﴿ نَآ ﴾ هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، حيث يتقدّم إبراهيم على إسماعيل في إطار اشتراكهما بهذه الذريّة .. ولنا – إن شاء الله تعالى – وقفة مفصّلة عند هذه النقطة ، نأتي بها بكل الصيغ القرآنيّة المحاكية لهذه الصيغة ..

.. إذاً .. ذريّة إبراهيم عليه السلام .. فرعها الأوّل [إسماعيل] استقرَّ في مكّة عند بيت الله تعالى المحرّم حتّى مبعث النبي محمّد عليه السلام ، وفرعها الثاني [يعقوب] استقرَّ في مصر حتّى إرسال موسى عليه السلام .. وفرعها الثاني دخل مصر باثني عشر ابناً ليعقوب عليه السلام ، وخرج من مصر باثني عشر سبطاً هم أسباط بني إسرائيل .. هذا هو **المعيار الأوّل** الذي نراه واضحاً وضوح الشمس وسط النهار ، ولا يُجادل فيه إلاّ كلُّ جاحد جاهل بقواعد لسان كتاب الله تعالى وببديهيّات المنطق ..

المعيار الثاني :

اسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يرد في كتاب الله تعالى (٤٣) مرّة ، منها (٤١) مرّة نرى فيها كلمة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ترد مضافاً إليه [﴿ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، ﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾] .. وفي موضعين نرى وروداً لاسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ دون هذه الإضافة :

١ – الموضع الأوّل :

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

هنا لا نرى لاسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ عطفاً على أي اسم ذات .. ونرى أنَّ اسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يصف لنا نبيّاً لبني إسرائيل ، يُلزَمُ بنو إسرائيل بما يحرِّمه أبوهم إسرائيل حتَّى على نفسه .. فكلُّ الطّعام [قبل أن تُنزَّل التوراة] كان حلاً لبني إسرائيل ، ما عدا ما حرّمه إسرائيل على نفسه ، فما حرّمه إسرائيل على نفسه ليس حلاً لبني إسرائيل .. يعني : ما حرّمه إسرائيل على نفسه [قبل أن تُنزَّل التوراة] مُلزِمٌ لبني إسرائيل ومحرَّمٌ عليهم ، وهذا يُؤكّد لنا أنَّ إسرائيل نبيٌّ مكلّفٌ ، وأنَّ بني إسرائيل مكلّفون بما يحرّمه إسرائيل حتّى على نفسه ، وهذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّ إسرائيل نبيٌّ مكلَّف يجب على بني إسرائيل اتّباعه كنبيٍّ مُرسَل لهم ..

.. ومن هذا الآية الكريمة ، نرى – بشكلٍ جليٍّ – أنَّ التوراة لم تكن مُنزَّلة قبل عصر النبي إسرائيل : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ .. فلا وجود للتوراة قبل عصر النبي إسرائيل .. ولنا وقفة – إن شاء الله تعالى – عند هذه النقطة .. وبالتفصيل ..

٢ – الموضع الثاني :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴾

هنا نرى عطفاً لاسم الصفة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ على اسم الذات ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ .. لكن .. هذا العطف ليس في مجرّد سردٍ لأسماء ذاتٍ للرسل ، إنّما هو عطفٌ يجمعهما معاً في إطار ذريّة واحدة ، يكون فيها إسرائيل من ذريّة إبراهيم ، في إطار ذكر المفاصل المميّزة في رسالات السماء إلى الأرض .. وهنا .. سنقف بالتفصيل عند العبارة : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، لنرى بالدليل الدّامغ أنَّ إسرائيل من ذريّة إبراهيم ..

.. العبارة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ نرى فيها كلمة ﴿ ذُرِّيَّةِ ﴾ بصيغة المفرد ، تُضاف للمضاف إليه ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، فماذا يعني ذلك ؟ .. هذا يعني أنَّهما في إطار ذريّة واحدة مبدؤها هو الاسم الأوّل [إبراهيم] .. يعني : [إسرائيل] هو ذاته من ذريّة [إبراهيم] .. ولو كان إسرائيل ليس من ذريّة إبراهيم لما عُطِفَ إسرائيلُ على إبراهيم كمضافٍ إليه تُضاف إليهما ذريّة واحدة [بصيغة المفرد] ، ولما تقدّم إبراهيمُ على إسرائيل .. يعني : لو أنَّ إسرائيل ليس من ذريّة إبراهيم ، لكانت الصيغة بالشكل : [ومن ذريتي إبراهيم وإسرائيل] ، أو بالشكل : [ومن ذرية إبراهيم ومن ذريّة إسرائيل] .. لكن .. الصيغة : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ تعني أنّهما في إطار ذريّة واحدة ، وأنَّ إسرائيل ذاته من ذريّة إبراهيم ..

.. حتّى في عرفنا الوضعي ، فإنَّ إضافة صيغة مفرد لمضاف إليه يتكوّن من صيغة مثنّى أو صيغة جمع ، فإنَّ هذه الإضافة تعني : أنَّ عناصر المُضاف إليه شركاء في المُضاف .. مثلاً .. نقول : [بيت محمَّد ومحمود] ، هذا يعني أنَّ كلاً من عنصري المضاف إليه

[محمّد ومحمود] شركاء في هذا البيت ، ولا يمكن لعاقل أن يقول : العبارة : [بيت محمّد ومحمود] تعني : هناك بيتان اثنان مختلفان واحد يملكه محمّد والثاني يملكه محمود ، بحجّة عطف محمود على محمّد .. لا يمكن لناطق بلسان كتاب الله تعالى عاقل أن يقول ذلك ، ومن يتوهّم ذلك إنّما لا يُدرك الفارق بين المضاف وبين المضاف إليه ، ولا يُدرك أنَّ الحديث عن المضاف ، وأنَّ المضاف إليه إنّما أُضيف له المضاف لتعريف المضاف ، وللأسف هذا هو حال الكثيرين ممّن يُفتون بجهالة ويركبون موجة التنوير ظلماً وعدواناً .. لا أودّ الإطالة .. فالعبارة ﴿ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ تعني : ذريّةً مشتركةً واحدة ، يشترك فيها عنصرا المضاف إليه : [إبراهيم وإسماعيل] ، وتقديم إبراهيم على إسماعيل دليلٌ على أنَّ إسماعيل من ذريّة إبراهيم في إطار شراكتهما في هذه الذريّة ..

وكنّا قد وقفنا عند قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

.. فكلمة : ﴿ ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ تتكوّن من مضاف بصيغة المفرد هو كلمة : ﴿ ذُرِّيَّةِ ﴾ ، ومن مضاف إليه [الضمير المتّصل ﴿ نَا ﴾] يتعلّق بإبراهيم وإسماعيل معاً ، وهذه الصيغة كمضاف هو كلمة ((ذريّة)) بصيغة المفرد وكمضاف إليه هو فردان : [إبراهيم وإسماعيل] ، تعني : أنَّ إسماعيل من ذريّة إبراهيم .. وهذه الصيغة تحاكيها تماماً الصيغة : ﴿ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ .. من هنا .. نرى أنَّ الصيغة : ﴿ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ تعني أنَّ إسرائيل من ذريّة إبراهيم ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾

هنا أيضاً نرى أنَّ الكلمة ﴿ ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ تتكوّن من مضاف هو كلمة ﴿ ذُرِّيَّةِ ﴾ بصيغة المفرد تُضاف إلى الضمير ﴿ هِمَا ﴾ الذي يعود على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وهذا لكون إسحاق من ذريّة إبراهيم عليه السلام ، وهذه الصيغة تحاكي تماماً الصيغة : ﴿ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ حيث إسرائيل من ذريّة إبراهيم عليهما السلام ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

هنا أيضاً نرى أنَّ الكلمة ﴿ ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ تتكوّن من مضاف هو كلمة ﴿ ذُرِّيَّةِ ﴾ بصيغة المفرد تُضاف إلى الضمير ﴿ هِمَا ﴾ الذي يعود على نوح وإبراهيم عليهما السلام ، وهذا لكون إبراهيم من ذريّة نوح عليه السلام ، وهذه الصيغة تحاكي تماماً الصيغة : ﴿ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ حيث إسرائيل من ذريّة إبراهيم عليهما السلام ..

.. وحينما يُصوِّر السياق مجموعة عناصر [مهما كانت] .. لكنّها – جميعها – في إطار ذريّة واحدة ، فإنَّ كلمة ((ذريّة)) ترد بصيغة المفرد ، كون جميع عناصرالمجموعة تتسلسل من ذريّة واحدة :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .. نرى أنَّ التسلسل في العطف يعود لتسلسل

مراحل هذه الذريّة ، فنوح من ذريّة آدم ، وآل إبراهيم من ذريّة نوح ومن ذريّة آدم ، وآل عمران من ذريّة آل إبراهيم ومن ذريّة نوح ومن ذريّة آدم ..

.. وعندما تكون هناك أكثر من ذريّة تتعلّق بالمعنيّين في السياق ، يعني : عندما يكون المضاف إليه مكوّناً من ذريّات مختلفة ، فإنّنا نرى – في هذه الحالة – وورود صيغة الجمع للمضاف : [ذُرِّيَّتِنَا ، ذُرِّيَّتِهِمْ] :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

كلمة : ﴿ ذُرِّيَّتِنَا ﴾ نرى فيها المُضاف ﴿ ذُرِّيَّة ﴾ بصيغة الجمع ، لأنَّ الدّاعين [أن يهبهم الله تعالى من أزواجهم وذريّاتهم قرّة أعين] ليسوا في إطار ذريّة واحدة ، فلكلٍّ منهم ذريّته .. لذلك نرى المضاف ﴿ ذُرِّيَّة ﴾ بصيغة الجمع .. وهذا الأمر هو ذاته نراه في الآية الثانية حيث كلمة : ﴿ ذُرِّيَّتِهِمْ ۚ ﴾ هي الأُخرى نرى فيها المُضاف ﴿ ذُرِّيَّة ﴾ بصيغة الجمع ، لأنَّ المعنيّين بالدعاء [أن يدخلهم الله تعالى جنّات عدن] ليسوا في إطار ذريّة واحدة ، فلكلٍّ منهم ذريّته ، وهذا أمرٌ بديهيٌّ يُدركه كلُّ صاحب فطرة نقيّة ..

إذاً ... لا توجد ذرّة شك أنَّ الصيغة : ﴿ ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ تعني أنَّ إسرائيل من ذريّة إبراهيم ، وهذا هو **المعيار الثاني** الذي نراه بالدليل الدامغ من كتاب الله تعالى .. وهذا المعيار وحده يفنّد معظم التخيّلات التائهة ، وينسفها من أساسها ..

.. ودلالة الذريّة معلومة في كتاب الله تعالى ، فذريّة المخلوق [من الإنس كان أم من الجن] هم الذين خرجوا منه كأبناء مهما نزلوا ، وهذا ما نراه في قوله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ..

أليس نوح من ذريّة آدم ؟ .. أليس آل إبراهيم من ذريّة إبراهيم ؟ ، وإبراهيم من ذريّة نوح ؟ ، ومن ذريّة آدم ؟ .. أليس آل عمران من ذريّة آل إبراهيم ؟ ، وبالتالي هم من ذريّة نوح ؟ ، ومن ذريّة آدم ؟ .. هل هذا من الصعب إدراكه على عاقل ناطق بلسان كتاب الله تعالى ؟ .. أليس هذا ما نراه محمولاً بالعبارة ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ ﴾ ؟ ..

.. في قوله تعالى :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ .. أليس [يحيى] كان استجابة لدعاء زكريّا عليهما السلام ؟ .. أليس يحيى ابناً لزكريّا ؟ .. هل هذا من الصعب إدراكه على ناطقٍ بلسان كتاب الله تعالى ؟ ..

.. في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾

.. أليس إبليس فرداً من عالم الجن ؟ .. أليس أفراد عالم الجن [كأفراد عالم الإنس] لهم أزواج وذريّات ؟ .. ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ؟ ..

.. أليس دعاء حملة العرش يشمل المؤمنين التائبين المتّبعين لسبيل الله تعالى ، من عالمي الإنس والجن ؟ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ

وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

.. أليست كلمة : ﴿ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ ﴾ في العبارة : ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ ﴾ تبيّن لنا وجود ذريّات للمؤمنين [حيث صفة الإيمان موجودة في عالمي الإنس والجن] ؟ .. إذاً .. الذريّة هي الأبناء وأبناء الأبناء وما نزل ، في عالمي الإنس والجن ، حيث هما عالمان مكلّفان فيهما مفهوم الأزواج ومفهوم الذريّة ..

.. في قوله تعالى :

﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾

.. هل يوجد عاقلان من ناطقي لسان كتاب الله تعالى يختلفان في إدراك معنى كلمة : ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ : ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ ﴾ ؟ ..

في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

.. هل يوجد عاقلان من ناطقي لسان كتاب الله تعالى يختلفان في إدراك معنى كلمة : ﴿ وَذُرِّيَّةً ۚ ﴾ : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ ﴾ ؟ ..

.. في قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

.. هل يوجد عاقلان من ناطقي لسان كتاب الله تعالى يختلفان في إدراك معنى كلمة : ﴿ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ في العبارة : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ على أنَّ كلمة : ﴿ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ تعني ابن مريم عيسى عليه السلام ؟ ..

أنا أعلم أنّني توسّعت في أمرٍ يُدركه – بفطرته النقيّة – كلُّ ناطق بلسان كتاب الله تعالى .. لكن .. لا بدّ من بيان الحق ، لأنَّ الشيطان – في عصرنا عصر الشبهات – استطاع التمكّن من تضليل الكثيرين ممّن يلهثون خلف الضلال .. هذه هي الحقيقة ..

.. النتيجة الدامغة التي لا يستطيع أحدٌ ردَّها : قوله تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، يبيّن لنا أنَّ النبي إسرائيل هو من ذريّة إبراهيم عليهما السلام ، أي هو من أبنائه [حيث كلمة (ابن) ليست متوقّفة على الولد ، فولد الولد وما نزل اسمه – في كتاب الله تعالى – ابن] ..

المعيار الثالث :

.. ما نراه في القرآن أنَّه هناك أسماء ذات ، وهناك أسماء صفات تتّصف بها الذوات .. مثلاً : كلمة [عيسى] هي اسم ذات للرسول عيسى عليه السلام ... لكن ... كلمة : [المسيح] هي أسم صفة لذات واحدة هي : [عيسى] عليه السلام .. ولا يمكن لعاقل أن يقول بأنَّ المسيح فردٌ آخر غير عيسى ، بحجّة وروده ككلمة مرسومة بصيغة أُخرى ..

.. من هنا نرى الحكمة في عدم ورود كلمة [المسيح] – في كتاب الله تعالى – معطوفة على أسماء الذوات للرسل عليهم السلام .. فكلمة المسيح ترد [١١] مرّة ، ولم تُعطَف على أيٍّ من أسماء الذات للرسل عليهم السلام ، وها هي في جميع مرّات ورودها :

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

.. لكن .. ما يتمّ عطفه على الأنبياء الآخرين هو اسم الذات [عيسى] :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾

.. ومن هنا نرى الحكمة في اختيار القرآن لاسم الصفة [المسيح] في وصف تأليه النصارى لعيسى عليه السلام :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ﴾

ورود اسم الصفة [المسيح] هنا ليس عبثاً ، إنّما يتعلّق بمطلق صياغة النصّ القرآني ، حيث دلالة كلمة [المسيح] على وزن فعيل من الجذر (م ، س ، ح) .. وهنا .. عندما يقف جاهل ليقول لنا : بما أنّه لا يوجد ترادف ، فإنّ المسيح فردٌ آخر غير عيسى ، لأنّ الذي اتّخذه النصارى إلهاً هو المسيح وليس عيسى .. هنا .. ما هي الإجابة المناسبة لهذا القائل ؟ .. أدع الإجابة للقارئ ..

.. وهذا الأمر نراه – أيضاً – في ورود اسم الذات [يونس] .. فعندما يعطف الله تعالى [يونس] على أسماء الذات للرسل نرى ورود اسم الذات يونس :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾

﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

لكن .. هناك اسم صفة ليونس هو [ذا النون] :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

.. من هنا نرى الحكمة من عطف الاسم [يعقوب] على أسماء الذات للرسل عليهم السلام ، كون الاسم [يعقوب] اسم ذات :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾

أمّا الاسم [إسرائيل] فرأينا أنّه يرد في كتاب الله تعالى (٤٣) مرّة .. منها (٤١) مرّة ترد فيها كلمة [إسرائيل] مضافاً إليه لكلمة [بنو ، بني] ، وفي موضعين نرى وروداً لاسم الصفة [إسرائيل] :

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾

وكنّا قد رأينا أنّ عطف إسرائيل على إبراهيم في النصّ الثاني هو لكون إسرائيل من ذريّة إبراهيم ، فهما ضمن إطار ذريّة واحدة ، فهذا العطف هو في إطار المضاف إليه الذي تُضاف له كلمة ((ذريّة)) وقد بيّنا ذلك بما فيه الكفاية ..

.. كلمة [إبراهيم] هي اسم ذات ، بينما كلمة [إسرائيل] هي اسم صفة ، وتمَّ عطف اسم الصفة [إسرائيل] على اسم الذات [إبراهيم] كون السياق القرآني يصوِّر لنا مفاصل محطّات رسالات السماء إلى الأرض ، وكون كلمة [إسرائيل] – كما سنرى – تحمل دلالة الالتزام بعهد الله تعالى .. ما أودُّ قوله : السبب [في الظاهرة العامّة] في عطف يعقوب على الأنبياء والمرسلين ، وعدم عطف [إسرائيل] على الأنبياء والمرسلين [باستثناء عطف إسرائيل على إبراهيم كمضاف إليه تُضاف إليه كلمة (ذريّة)] ، لا يعود لكون إسرائيل ليس نبيّاً .. ولا يمكن الاستدلال به على أنَّ إسرائيل فردٌ غير يعقوب .. أبداً .. السبب في ذلك أنَّ كلمة [إسرائيل] اسم صفة [[لها خصوصيّتها من الدلالات كما سنرى]] لنبيٍّ مذكورٍ في كتاب الله تعالى ، من نسله خرج بنو إسرائيل .. وكما بيّنّا ، قوله تعالى : ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يؤكّد لنا أنَّ تحريم إسرائيل لبعض الطعام على نفسه مُلزمٌ لبني إسرائيل ، وهذا لا يكون إلاَّ لكونه نبيّاً لهم ، فضلاً عن كونه أباً لهم ..

.. وهنا سنقف عند معنى كلمة : ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ والحكمة من ورود اسم الصفة : ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، والحكمة من تعلّق كلمة [بنو ، بني] باسم الصفة [إسرائيل] :

.. لا شكَّ أنَّ كلَّ كلمات كتاب الله تعالى فطريّة عربية [[بالمفهوم القرآني لكلمة : ((عربي)) حيث الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص]] .. وهنا .. سنحلل كلمة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ بمنهجيّة قواعد لسان كتاب الله تعالى .. وسنجد أنفسنا أمام احتمالين :

أوّلاً : كلمة : ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ عبارة عن دمج لكلمة : ﴿ إِسۡرَ ﴾ على وزن [فِعْل] من الجذر (أ ، س ، ر) مع كلمة : ﴿ ءِيلَ ﴾ .. وكلمة : ﴿ ءِيلَ ﴾ تحمل معاني تتعلّق

بالإلوهيّة والربوبيّة ، وهذا المعنى نراه في كلمة : ﴿ جِبْرِيل ﴾ .. فكلمة ﴿ جِبْرِيل ﴾ هي دمج كلمة ﴿ جِبْر ﴾ من الجذر (ج ، ب ، ر) على وزن [فِعْل] مع كلمة ﴿ يل ﴾ ..

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾

﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

فكلمة ﴿ جِبْرِيل ﴾ كاسم ذات تصوّر لنا دلالة : قوّة الإله الجبّار جلّ وعلا ، في صلته مع المخلوقات .. ومن هنا كان اسم الصفة : ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ليصوّر لنا المدد والقربى والصلة مع الله تعالى التي يحملها جبريل عليه السلام من الجبّار جل جلاله ..

.. وكما قلنا .. كلمة : ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ عبارة عن دمج لكلمة : ﴿ إِسْرَ ﴾ على وزن [فِعْل] من الجذر (أ ، س ، ر) مع كلمة : ﴿ ءِيلَ ﴾ .. ودلالات الجذر : (أ ، س ، ر) تدور في إطار الحجز والوقوع تحت حكم ذاتٍ أُخرى ، ليكون معنى كلمة : ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ : المنذور لله تعالى ، المُعاهِد لله تعالى بألاّ يخرج على ما عاهد الله تعالى عليه .. بمعنى : المأسور والمحجوز في تمام العهد مع الله تعالى .. وهذا — كما قلنا — هو اسم صفة وُصِف به ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بعد إتمام عهده مع الله تعالى ، وهذا يختلف عن اسم الذات الذي تتّصف به الذات منذ وجودها ..

ثانياً : كلمة : ﴿ إِسْرَآءِيلَ ﴾ عبارة عن دمج لكلمة : ﴿ إِسْرَآء ﴾ على وزن [إفعال] من الجذر (س ، ر ، ي) مع كلمة : ﴿ يلَ ﴾ .. وهذا الاحتمال يُحاكي كلمة : ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ المكوّنة من دمج كلمة ﴿ إِسْمَـٰع ﴾ على وزن [إفعال] من الجذر (س ، م ، ع) ، مع كلمة ﴿ يلَ ﴾ .. ليكون معنى كلمة ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ هو : استجابة الله تعالى بسمعه جلّ وعلا .. وهذا يتعلّق بكون ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ عليه السلام إستجابة الله تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ..... وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ .. فأصل سماع الله تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام واستجابة الله تعالى لهذا الدعاء كان بوهب ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ .. وبعد ذلك .. ونتيجة ارتقاء إبراهيم وإسماعيل في قصّة الذبح المعلومة التي تعرَّض لها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، بعد ذلك .. وهب الله تعالى إبراهيمَ إسحاق ومن بعده يعقوب كنافلة [كزيادة] على ما دعاه إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴾ .. شاهدنا هو : أنَّ كلمة ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ تعني : استجابة الله تعالى بسمعه لدعاء إبراهيم عليه السلام ، وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ .. فالعبارة : ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ تصوّر لنا استجابة الله تعالى لدعاء إبراهيم بأن وهبه إسماعيل ، ومن بعد ذلك إسحاق كنافلة ، كما رأينا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ ﴾ ..

.. شاهدنا من الأمر .. كلمة : ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ مكوّنة من دمج كلمة ﴿ إِسْمَـٰع ﴾ على وزن [إفعال] من الجذر (س ، م ، ع) ، مع كلمة ﴿ يلَ ﴾ .. ليكون معنى كلمة ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ هو : استجابة الله تعالى بسمعه جلّ وعلا لدعاء إبراهيم عليه السلام ..

وفي الاحتمال الثاني لتحليل كلمة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، نرى أنَّ هذه الكلمة عبارة عن دمج لكلمة : ﴿ إِسْرَٰٓء ﴾ على وزن [إفعال] من الجذر (س ، ر ، ي) مع كلمة : ﴿ يلَ ﴾ .. فمن المعلوم [وقد بيّنت ذلك بالتفصيل] أنَّ الصيغة [فعال] للجذر الذي نهايته حرف واو أو حرف ياء ، فإنَّ حرف [الواو أو الياء] ينقلب همزة ، والأمثلة كثيرة .. مثلاً في : الجذر (س ، م ، و) الوزن (فَعَال) منه هو : [سَمَاو] ، وهنا ينقلب حرف الواو همزة لتكون كلمة : ((سماء)) .. مثلاً : الجذر (ب ، ل ، و) نرى أنَّ الوزن (فَعَال) منه هو كلمة (بلاو) وهنا أيضاً ينقلب حرف الواو همزة لتكون كلمة ((بلاء)) .. مثلاً : الجذر : (ع ، ر ، ي) نرى أنَّ الوزن (فَعال) منه هو : [عَراي] وهنا أيضاً ينقلب حرف الياء همزة لتكون كلمة ((عَراء)) .. مثلاً : الجذر (ش ، ف ، ي) نرى أنَّ الوزن (فِعَال) منه هو كلمة (شِفَاي) ، وهنا أيضاً يقلب حرف الياء همزة لتكون كلمة ((شفاء)) ... وهكذا ...

.. إذاً كلمة ﴿ إِسْرَٰٓء ﴾ بضمِّ الهمزة في نهايتها إليها ، هي على وزن [إفعال] من الجذر (س ، ر ، ي) حيث الوزن [إفعال] هو : [إسراي] وقُلب حرف الياء همزة فكانت كلمة ﴿ إِسْرَٰٓء ﴾ .. ودلالات الجذر (س ، ر ، ي) تعني : السير والجري والانتقال .. من هنا ووفق هذا الاحتمال يكون معنى كلمة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ هو : السير بعهد الله تعالى والانتقال به عبر الزمان .. وهذا المعنى يتكامل مع معنى الاحتمال الأوَّل كما رأينا .. فالاستمرار – دون انقطاع – للوفاء بالعهد مع الله تعالى ، يقتضي ألاَّ يخرج

إسرائيل على ما عاهد الله تعالى عليه .. لذلك .. أُرجِّح تكامل المعنيين معاً ، كونهما متكاملين في بيان هذه الدلالة ..

.. بيّنا من كتاب الله تعالى [القرآن الكريم] معنى اسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، بالاحتمالين ، ورجّحنا تكاملهما معاً .. ولا علاقة لكلمة إسرائيل ببعض ما يُنقل عن الروايات عند بني إسرائيل من قصص لا يقبلها عاقل ، حيث ينطلق الخرّاصون – من المتنطّعين الجدد – من هذه القصص الخرافيّة كمقدّمة لإثبات أهوائهم التي ليست أفضل حالاً من هذه القصص الخرافيّة ، مُعرضين عن صريح دلالات نصوص كتاب الله تعالى ..

.. من هنا نرى الحكمة من إضافة كلمة : [بنو ، بني] لكلمة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ في كتاب الله تعالى (٤١) مرّة ، لتصوير دلالة استمرار تعلّقهم بالعهد مع الله تعالى بألاً يخرجوا على طاعته ، فبما أنَّ اسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يحمل دلالة المُعاهِد لله تعالى بألاً يخرج على ما عاهد الله تعالى عليه ، والمأسور والمحجوز في تمام العهد مع الله تعالى ، استمراراً بذلك .. فإنَّ بنيه المُضافين له ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ تصفهم من زاوية التعلّق بالعهد مع الله تعالى ، والاستمرار بذلك .. وهذا الوصف يختلف عن وصفهم من زاوية كونهم بني يعقوب ، فكما بيّنا ، اسم الذات [يعقوب] هو اسم ذات قبل العهد مع الله تعالى ، وبعد العهد مع الله تعالى ، بينما اسم الصفة ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يصف هذا النبيّ من زاوية التعلّق بالعهد مع الله تعالى ، وبالتالي فإنّ إضافة بنيه إليه ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ تصف بنيه من زاوية تعلّقهم بهذا العهد .. هذا هو السبب في الإضافة ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ دون الإضافة [بني يعقوب] .. فالإضافة [بني يعقوب] تصف أبناء يعقوب من زاوية كونهم أبناءة بغض النظر عن العهد مع الله تعالى :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

المعنى : ووصَّى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوبُ وصَّى بها بنيه .. هنا نرى الوصف من زاوية إعلام بالوصيّة ، وليس من زاوية العهد المُبرَم بين إسرائيل وبين الله تعالى حيث بنو إسرائيل تعهّدوا الالتزام بهذا العهد ..

.. لكن .. عندما نرى سياقاً يصوّر لنا الأمر من زاوية تعلّق بني إسرائيل بالعهد مع الله تعالى ، نرى إضافة كلمة [بنو ، بني] لكلمة [إسرائيل] :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾

﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ ﴾

وبتتبّع العبارة : ﴿ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، نرى عمق دلالة مخاطبتهم من زاوية العهد مع الله تعالى .. مثلا : في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل دون غيرهم : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ ، إنّما خاطبهم من زاوية العهد بينهم وبين الله تعالى .. لذلك .. عيسى عليه السلام هو رسول لبني إسرائيل كأبناء لأبيهم المنذور لله تعالى وكملتزمين بالعهد مع الله تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ .. لذلك .. كون بعضهم أخلَّ بالعهد مع الله تعالى ، فإنّه بذلك يستحقّ اللعنة : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ .. ولذلك .. نرى هذا الكم من الرسل لبني إسرائيل .. ونرى هذه المساحات الواسعة في القرآن الكريم عن قصصهم وصراعهم مع الرسل الذين أُرسلوا إليهم ..

.. والربط بين اسم الصفة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ وبين أهل الكتاب ، هو ربطٌ عميق في كتاب الله تعالى .. فكلمة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ترد في كتاب الله تعالى [٤٣] مرّة .. والقيمة العدديّة للعبارة ﴿ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [حسب الأبجديّة القرآنيّة] تساوي أيضاً = [٤٣] :

﴿ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ = ١ + ٧ + ٢ + ١ + ٢ + ١٠ + ١١ + ٩ = **٤٣**

ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ مجموع ورود العبارتين : [﴿ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، ﴿ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾] في كتاب الله تعالى هو [٣٣] مرّة .. والقيمة العدديّة لكلمة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ تساوي العدد ذاته : [٣٣] :

﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ = ١ + ١٥ + ٨ + ١ + ٦ + ٢ = **٣٣**

إذاً .. ورود كلمة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ دون كلمة [يعقوب] في نصوصٍ قرآنيّة ، وورود كلمة [يعقوب] دون كلمة ﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ في نصوصٍ أُخرى ، يتعلَّق بالدلالة المحمولة بالسياق ، وهذا ليس دليلاً على أنَّ إسرائيل شخصٌ آخر غير يعقوب ، وإلاَّ لكان المسيح غير عيسى ، ولكان [ذا النون] غير يونس ، ولكانت الأسماء : [الرحمن ، الرحيم ، السميع ، العليم ، العزيز ، .....] ليست أسماء صفات لله تعالى ..

من هنا نُدرك الحكمة من عطف اسم الصفة [إسرائيل] على اسم الذات [إبراهيم] في قوله تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، فالسياق النصّي يصوّر لنا محطّات مفصليّة في رسالات السماء للأرض وتفاعل البشر معها .. والعهد الذي هو سبب هذه التسمية [[إسرائيل]] مستمرٌّ مع أبناء بني إسرائيل إلى قيام الساعة ، وهو مرحلة مفصليّة

حتّى داخل إطار ذريّة إبراهيم عليه السلام .. فالمناسب هنا هو عطف اسم الصفة [إسرائيل] على اسم الذات [إبراهيم] .. وهذا العطف لاسم صفة على اسم ذات بما يحمله من حكمة ، نرى في كتاب الله تعالى ما يُحاكيه ..

.. نرى في كتاب الله تعالى عطفاً لأسماء الذات للكتب السماويّة على بعضها :

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾

.. لكن .. في الحديث عن تعليم الله تعالى لعيسى عليه السلام ، نرى عطفاً لاسمي الذات [التوراة والإنجيل] على اسم الصفة للقرآن [الكتاب] :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾

القرآن اسم ذات يشمل [المعجزة والمنهج] ، بينما التوراة والإنجيل هما اسما ذات يشمل كلّ منهما المنهج فقط .. وتعليم معجزة للقرآن غير ممكن لأيٍّ مخلوق ، وإلاّ لما كانت المعجزة معجزةً من الأساس .. من هنا نرى الحكمة في عطف اسمي الذات [التوراة والإنجيل] على اسم الصفة [الكتاب] ، حيث [الكتاب ، التوراة ، الإنجيل] عبارة عن مناهج من السماء ..

.. نعود فنقول : عطف اسم الصفة [إسرائيل] على اسم الذات [إبراهيم] إنّما هو لكون السياق يصوّر لنا أهم مفاصل رسالات السماء وتفاعل البشر معها ، وعهد إسرائيل وذريّته مع الله تعالى [داخل إطار ذريّة إبراهيم] هو مفصل هام من هذه المفاصل .. لذلك .. نرى اختيار اسم الصفة [إسرائيل] كتصويرٍ مُطلق لحمل هذه الدلالة ..

.. وممّا يُؤكّد أنَّ الاسم [إسرائيل] هو اسم صفة لنبيٍّ له اسم ذات مذكور في القرآن الكريم ، وأنَّ هذا الاسم [إسرائيل] ليس اسم ذاتٍ لأيٍّ من الأنبياء والمرسلين .. ممّا يؤكّد ذلك .. أنَّ هذا الاسم [الذي يصف نبيّاً من ذريّة إبراهيم] لا يدخل في معادلة التوازن ما بين مجموع تكرار أسماء الذات للمرسلين من جهة ، وبين مجموع مشتقّات الجذر (ر ، س ، ل) من جهةٍ أُخرى ..

.. في كتاب الله تعالى مشتقّات الجذر : (ر ، س ، ل) ترد [٥١٣] مرّة ، وترد بالشكل :

[أرسل (٧) ، أرسَلَتْ (١) ، أرسلتَ (٢) ، أرسلنا (٥٨) ، أرسلناك (١٣) ، أرسلناه (٢) ، فأرسلوا (١) ، أرسله (١) ، نُرسل (٥) ، لنرسلنّ (١) ، يُرسل (١٤) ، أرسِلْ (٦) ، أرسله (٢) ، فأرسلون (١) ، أُرسِل (٤) ، أُرسِلْتُ (٣) ، أُرسِلْتُم (٤) ، أُرسِلْنا (٣) ، أُرسلوا (١) ، يُرسَل (١) ، رسول (١١٦) ، الرسولا (١) ، رسولاً (٢٣) ، رسولكم (٢) ، رسولنا (٤) ، رسوله (٨٤) ، رسولها (١) ، رسولهم (٣) ، رسولي (١) ، رسولا (١) ، رُسُل (٣٤) ، رسلاً (١٠) ، رسلك (١) ، رسلكم (١) ، رسلنا (١٧) ، رسله (١٧) ، رسلهم (١٢) ، رسلي (٤) ، رسالة (١) ، رسالته (٢) ، رسالات (٥) ، رسالاته (١) ، رسالاتي (١) ، مُرسِل (١) ، مرسلوا (١) ، مرسِلين (٢) ، مرسِلة (١) ، مرسَل (١) ، مرسَلاً (١) ، مُرسَلون (٩) ، مرسَلين (٢٤) ، المرسلات (١)] المجموع = [٥١٣] مرّة ..

.. وهذا العدد (٥١٣) هو ذاته مجموع تكرار أسماء المرسلين عليهم السلام :

[إل ياسين (١) ، أحمد (١) ، إدريس (٢) ،، ذا الكفل (٢) ، إلياس (٢) ، اليسع (٢) ، لقمان (٢) ، أيوب (٤) ، يونس (٤) ، محمّد (٤) ، يحيى (٥) ، هود (٧) ، زكريا (٧) ، صالح (٩) ، شعيب (١١) ، إسماعيل (١٢) ، يعقوب (١٦) ، داود (١٦) ، إسحاق (١٧) ، سليمان (١٧) ، هارون (٢٠) ، آدم (٢٥) ، عيسى (٢٥) ، لوط (٢٧) ، يوسف (٢٧) ، نوح (٤٣) ، إبراهيم (٦٩) ، موسى (١٣٦)] .. المجموع = [٥١٣] مرّة ..

.. شاهدنا من هذا العرض التفصيلي ، أنَّ الاسم [إسرائيل] ليس اسم ذاتٍ لأيٍّ من الأنبياء والمرسلين ، وبيّنّا أنَّ [إسرائيل] رسولٌ من ذريّة إبراهيم ، يُلزَم بنو إسرائيل حتّى بما حرّمه على نفسه : ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ

﴿ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ ﴾ .. يعني : هذا الاسم [إسرائيل] هو اسم صفة لرسولٍ من رسل بني إسرائيل ، قبل أن تُنزَّل التوراة ، وبالتأكيد بعد إبراهيم عليه السلام ، كون إسرائيل من ذريّة إبراهيم عليه السلام .. وهذا هو معيارٌ يُضاف للمعايير الأُخرى ..

.. وما نراه في كتاب الله تعالى أنَّ أسباط بني إسرائيل (١٢) يشملون كلَّ بني إسرائيل ، دون استثناء ، فكلُّ واحدٍ من بني إسرائيل ينتمي لسبط من أسباط بني إسرائيل ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ ﴾ .. فكلمة ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ﴾ يعود الضمير فيها ﴿ هُمُ ﴾ إلى كليّة بني إسرائيل .. فبنو إسرائيل مكوّنون من (١٢) سبطاً .. ومن بني إسرائيل تمّ اختيار (١٢) نقيباً .. فالنقباء هم (١٢) تمّ اختيارهم من جملة بني إسرائيل ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴾ .. فبعد أخذ الميثاق من بني إسرائيل .. بعد ذلك .. بعث الله تعالى من بني إسرائيل (١٢) نقيباً .. ما أودّ قوله : بنو إسرائيل مكوّنون من (١٢) سبطاً .. وهذا يختلف تماماً عن النقباء ال (١٢) الذين بعثهم الله تعالى من بني إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم ..

وممّا يُشير إلى صحّة ما نذهب إليه في معاييرنا التي رأيناها ، من أنَّ كلمة [إسرائيل] اسم صفة ويتعلّق بيعقوب ، أنّ كلمة [إسرائيل] لم تُذكَر في سياقٍ قرآنيٍّ واحد في عصرٍ يسبق عصر يعقوب عليه السلام .. وبإمكان أيّ إنسان أن يتأكّد – بنفسه – من هذا الأمر .. وهذا معيار يُضاف للمعايير التي رأيناها ..

.. إذاً .. هناك رسولٌ من ذريّة إبراهيم عليه السلام ، اسم الصفة له هو كلمة : [إسرائيل] ، وزمن وجوده قبل بعث موسى عليه السلام ، ولا وجود للاسم [إسرائيل] قبل عصر يعقوب عليه السلام ، وذلك في كتاب الله تعالى .. وفي كتاب الله تعالى لم يُجمَع اسم الصفة [إسرائيل] مع اسم الذات [يعقوب] في أيِّ نصٍ من نصوصه الكريمة .. وبنو إسرائيل – جميعهم – من ذريّته ، بدليل خطاب الله تعالى لهم عشرات المرّات بالصيغة [بني إسرائيل] ، وأبناؤه [بنو إسرائيل] مكوّنون من

(١٢) سبطاً ، حيث تمَّ خروجهم من مصر على يد موسى عليه السلام .. وبالمقابل .. هناك اسم ذات لنبي هو [يعقوب] عليه السلام ، وهو – أيضاً – من ذريّة إبراهيم عليه السلام .. وليعقوب (١٢) ولداً ، وذهب هذا النبيُّ يعقوب [وأبناؤه ال (١٢)] إلى مصر واستقرَّ فيها .. هذا إضافة إلى كون الرسالات السماويّة الثلاثة تُجمِع على أنَّ الاسم : [إسرائيل] هو اسم صفة ل : [يعقوب] عليه السلام .. فهل بعد ذلك تبقى حيرة [أو شك] في أن نعلم : إلى أيِّ اسم ذات من الأنبياء يعود اسم الصفة [إسرائيل] ؟ ..

.. وهنا سنقف عند بعض النقاط التي يحسبها بعضهم حجّة يأتون بها بالدب من البئر : يقولون : ما علاقة ابني آدم بما كتابه الله تعالى على بني إسرائيل :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾

.. يقولون : ما الرابط بين ما كتبه الله تعالى على بني إسرائيل بسبب قصّة ابني آدم : [قابيل وهابيل] وبين عصر ابني آدم : [قابيل وهابيل] ؟ .. ويتوهّمون – بناء على تيههم هذا – أنَّ بني إسرائيل موجودون منذ عصر آدم عليه السلام ..

.. أوّلاً : لا يُوجَد في النصّ ذكرٌ لقابيل ولا لهابيل ، ولا يُوجد ذكرٌ لتاريخٍ محدّد بعينه في عصرٍ محدّد بعينه ..

.. ثانياً : يقول تعالى : ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ، و لم يقل [ولدي آدم] ، ومن المعلوم أنّ صفة البنوّة لا تتوقّف عند الولد ، فكلٌّ واحد منّا هو ابنٌ لأبينا آدم عليه السلام ، فالله تعالى يخاطبنا في كتابه الكريم [يا بني آدم] .. وهذا يعُطي هذه القصّة إطلاقاً لا يحصرها بزمنٍ محدّد .. فأيُّ اثنين يقتتلان في كلِّ زمانٍ ومكان هما ابنا آدم عليه السلام ..

.. ثالثاً (والأهم) : أنَّ التوراة [[كأوَّل كتاب سماوي لأهل الأرض منذ آدم عليه السلام]] أُنزلت في بني إسرائيل ، وقوله تعالى : ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ ﴾ يدركه من عنده حدٌّ أدنى من الوعي ، فالتوراة ليست قبل زمن إسرائيل ، وقد بيّنت في تفصيل [تدرّج الرسالات السماويّة] أنَّه لا يُوجد كتاب سماوي أو نصٌّ من السماء مكتوب ، قبل إبراهيم عليه السلام ، فصحف إبراهيم تُعدُّ الصُّحُف الأولى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ ، بيّنت ذلك بالتفصيل ..

.. فأيُّ كتابة من السماء يكتبها الله تعالى لأهل الأرض ، كنصٍّ مكتوب ، لن تكون قبل عصر إبراهيم عليه السلام ، فما قبل عصر إبراهيم عليه السلام كان التفاعل ما بين الرسل من جهة والبشر من جهةٍ أُخرى ، كان من خلال الرسل ذاتهم – كتفاعل شخصيٍّ مباشَر – دون نصٍّ مكتوبٍ من السماء ، وقد بيّنت هذا الأمر بالتفصيل في بيان دلالات قوله تعالى :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ ..

.. ما نراه أنَّ مراحل رسالات السماء إلى الأرض هي :

١ – ما بين آدم وإبراهيم قبل أن يُنجب ، حيث مركز هذه المرحلة هو نوح عليه السلام : ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ ، وفي هذه المرحلة لم تنزل نصوصٌ مكتوبة من السماء .. حيث كان إبلاغ المنهج من خلال الجانب الشخصي للرسل عليهم السماء ..

٢ – مرحلة ﴿ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ ، وتمتد من إبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب حتى عيسى عليه السلام ، وهنا – في هذه المرحلة – نزلت نصوص مكتوبة من السماء ، لكنّها لم تلغ دور الجانب الشخصي للرسل عليهم السلام ..

٣ – المرحلة الأخيرة ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ ، وتمتد هذه المرحلة من محمّد عليه السلام إلى قيام الساعة ، وفيها عودة عيسى عليه السلام .. وهنا – في هذه المرحلة – تركّز المنهج كلّ المنهج والمعجزة كلّ المعجزة في الكتاب السماوي (القرآن الكريم) ..

.. هذا الأمر ، بيّنته بالتفصيل في أبحاثي وبرامجي .. شاهدنا من هذا الأمر – في هذا السياق – أنَّ ما كتبه الله تعالى للبشر ، كنصٍّ مكتوبٍ نازلٍ من السماء ، لن يكون قبل عصر إبراهيم عليه السلام .. وبالتالي .. من عصر آدم حتّى عصر إبراهيم قبل أن يُنجب ، لا وجود لنصوص مكتوبة نازلة من السماء ..

.. وبنو إسرائيل هم أوّل أمّة – في تاريخ البشر – تتعهَّد – كأمّة – أن تلتزم بأمر الله تعالى ، وهي أوّل أمة تتكوّن من أبناء لرجل واحد يحملون عقيدةً واحدةً أخذ الله تعالى بها العهد منهم .. قبل بني إسرائيل – نعم – بعث اللهُ تعالى رسلاً من السماء .. لكن .. لم يكن هناك – قبل بني إسرائيل – مجتمعٌ تعهّد – كمجتمع – بالالتزام بعهد الله تعالى ..

.. وكتابة الله تعالى المعنيّة : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، هي في نصٍّ نازلٍ من السماء ، موجودٍ بين أيدي البشر ، في أمّةٍ تعهّدت بحفظ عهد الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ ، وهذا لم يكن متوفّراً قبل أن تُنزَّل التوراة ، حيث لم تُنزَّل – كما رأينا – قبل إسرائيل الذي هو – كما بيّنّا وبالتفصيل – من ذريّة إبراهيم عليهما السلام .. من هنا نرى جانباً من الحكمة التي تربط بين قصّة ابني آدم عليه السلام من جهة ، وبين كتابة مقتضى الحكمة من هذه القصّة كحكمٍ على بني إسرائيل من جهةٍ أُخرى ، ونرى فساد القول أنَّ إسرائيل موجود منذ عصر آدم عليه السلام ..

.. في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ نرى ورود كلمة : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، فهذه الكلمة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ تُشير إلى أمرٍ مُفرَد تمَّ ذكرُه في السياق السابق ، وأقرب مذكور للعبارة ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ هو الندَم : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ ..... ﴾ .. أي : من أجل ذلك الندم الذي حصل مع القاتل من ابني آدم ، ومن أجل ألا يقع بنو إسرائيل في الندم [[[وهم الذين بين أبيهم وبين الله تعالى عهد وبينهم وبين الله تعالى عهد]]] ، من ،جل ذلك ، كتب الله تعالى عليهم [[[ليس حرمة القتل وحرمة فعله ، فتحريم القتل معلوم]]] أنَّ الندم الذي سيلقاه القاتل منهم في يوم القيامة ، يُعادل ندَمَه فيما لو قتل الناس جميعاً ..

.. الذي كتبه الله تعالى على بني إسرائيل ، في كتابٍ سماويٍّ هو الأوّل – ككتاب سماوي – في تاريخ البشريّة ، ولمجتمعٍ كلُّهم أبناء نبيٍّ منذورٍ لله تعالى ، ولمجتمعٍ أخذ الله تعالى منه العهد ، الذي كُتب عليهم ليس حرمة القتل ، فالله تعالى لم يقل : [من أجل ذلك حرّمنا على بني إسرائيل القتل] ، الذي كُتب عليهم [[[كونهم الأعلم – آنذاك –

بمنهج الله تعالى ، وكونهم عليهم عهد ألاَّ يخرجوا على منهج الله تعالى]]] أنَّ القاتل منهم سيلقى ندماً يوم القيامة يُعادل ندَمَهُ فيما لو قتل الناس جميعاً ..

.. وهذا الأمر [الندم وما يعادله] لم يُكتَب على الأمم السابقة ، كونه لا تُوجَد أمّة – قبل بني إسرائيل – تعهّدت – كأمّة بمجموع أفرادها – بمنهج الله تعالى ، وكونه لا يُوجَد كتاب سماوي – قبل الكتاب الذي أُنزل على بني إسرائيل – ليتمَّ ذكر معادلة الندم هذه فيه .. هذا هو عمق الدلالة المحمولة في قوله تعالى ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾ ، وهذا هو سبب اختصاص بني إسرائيل بهذا المكتوب قبل غيرهم من الأمم ..

.. وهنا سؤالٌ يطرح نفسه : نحن كاتباع للرسالة الخاتمة ، ألسنا معنيّين بما كتبه الله تعالى على بني إسرائيل من معادلة الندم هذه ؟ .. أُجيب :

.. بالتأكيد .. ألم يأمر الله تعالى نبيّه محمّداً عليه السلام [وكلَّ واحد منّا من بعده] بالاقتداء بهدي الرسل السابقين ؟ :

﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ**

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾

هل هناك من صعوبة في إدراك دلالات هذا النصِّ الكريم ؟ .. ألم يذكر الله تعالى الرسل من عصر إبراهيم عليه السلام ؟ .. ألم يقل بعد ذكره للرسل السابقين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ ؟ .. كيف إذاً لا نكون مكلّفين بهدي الرسل السابقين ، سواءٌ رسل بني إسرائيل أم من قبلهم ؟ .. كيف ؟ ..

.. وأعود فأقول : الذي كتبه الله تعالى على بني إسرائيل في قوله تعالى ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ، ليس حرمة القتل ، فحرمة القتل محرّمة في نصوصٍ أُخرى .. أليس النصّ التالي يبيّن لنا ميثاقاً أخذه الله تعالى على بني إسرائيل ألاَّ يسفكوا الدماء ؟ :

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾

هل يوجد ناطق بلسان كتاب الله تعالى لا يفهم من الآية ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾ أنَّ الذي كُتب هو معادلة قتل النفس بقتل الناس جميعاً ، ومعادلة إحياء النفس بمعادلة إحياء الناس جميعاً ؟ ..

.. لنسأل أيّ عاقل ليس عبداً لهواه وليس من الموصوفين بأنّهم أجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله : العبارات في نهاية الآية ذاتها التي تبيّن لنا ما كتبه الله تعالى على بني إسرائيل : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ أليس الضمير المتّصل ﴿ هُمْ ﴾ في كلمة : ﴿ جَآءَتْهُمْ ﴾ يعود إلى بني إسرائيل ؟ .. هل توجد ذرّة شكٍّ في ذلك ؟ .. أليست العبارة ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ تبيّن لنا مجيء رسل بصيغة الجمع ﴿ رُسُلُنَا ﴾ لبني إسرائيل ؟ .. أليس هذا المجيء يرد في الآية ذاتها وفي صيغة الماضي ﴿ جَآءَتْهُمْ ﴾ ؟ .. فكيف إذاً يكون بنو إسرائيل [الذين جاءهم رسل الله تعالى بالبيّنات ، في تصويرٍ يرد في الآية ذاتها] ، كيف يكونون في عصر آدم وقبل الطوفان ؟ .. أيّ تيه هذا الذي يغرقون فيه ؟ .. مَن هم الرسل الذين جاؤوا بني إسرائيل قبل حادثة قتل قابيل لهابيل ؟ .. أين ذكرُ القرآن الكريم لرسلٍ من عند الله تعالى إلى البشر في عصر قابيل وهابيل ؟!!! .. أعتقد أنّنا بدأنا نُدرك كيف يكون التنطّع والتيه عند راكبي موجة التنوير دون أيِّ وجه حق ، وكيف أنّهم يسيئون لمنهج الله تعالى أكثر حتّى من حرّاس الموروث بغثّه وسمينه دون وعي ..

.. وهناك أوهام تائهة أُخرى يُلقيها بعضهم ذرّاً للرماد في الأعين البريئة ، بأنّ إسرائيل موجود قبل الطوفان في عصر نوح عليه السلام ، يقولون ذلك استشهاداً بقوله تعالى :

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

ما نراه أنّ العبارة ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ تصف لنا ذريّةً للذين حُمِلوا مع نوحٍ عليه السلام في السفينة ، فبنو إسرائيل بالتأكيد [هم وكلّ البشر الموجودين على وجه الأرض] هم من ذريّة المحمولين في السفينة .. الآية لا تقول : [إسرائيل حُمِل مع نوح في السفينة] ليقال : إسرائيل كان محمولاً مع نوح في السفينة .. إسرائيل وذريّته ،

ومَن قبلَه حتّى نوح ، ومَن بعده إلى قيام الساعة ، جميع هؤلاء هم من ذريّة نوح والذين حُملوا مع نوحٍ في السفينة ..

.. إعادة الجملة : ﴿ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ على إسرائيل [[الذي لا ذكر له في السياق ، ويُذكر كمضاف إليه لكلمة ((بني))]] وإغماض العين عن كلمة ﴿ ذُرِّيَّةَ ﴾ ، هو قمّة الجهالة والضلال .. فلا يوجدَ في النصِّ مجرّد إشارة تشير لإسرائيل كفرد .. ما يُذكَر في النصِّ هو : موسى وبنو إسرائيل بعد أن آتى الله تعالى موسى الكتاب ، وبعد أن جُعِل الكتاب هدىً لبني إسرائيل ، ومن مقتضيات ما في الكتاب والهدى : ألاَّ يتّخذ بنو إسرائيل وكيلاً دون الله تعالى ، وهذا أمرٌ معلومٌ ولا خلاف فيه ..

.. الآية الثانية : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ نراها تُبتدأ بكلمة ﴿ ذُرِّيَّةَ ﴾ المنصوبة .. فماذا يعني ورود هذه الكلمة ﴿ ذُرِّيَّةَ ﴾ منصوبة ، في معيار لسان كتاب الله تعالى ؟ ..

.. كلمة : ﴿ ذُرِّيَّةَ ﴾ ترد بدلاً لكلمة : ﴿ وَكِيلًا ﴾ .. المعنى : في الكتاب الذي آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل ، ينهاهم الله تعالى عن أمرين :

١ – ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ .. يعني : ألاَّ تتّخذوا من البشر وكيلاً لكم من دون الله تعالى .. وهنا .. محاكاة للحبل من الله تعالى ﴿ بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ والمذكور في الآية : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .. بمعنى : أنتم دون الحبل من الله تكونون أذلاء .. فلا تتخّذوا من دون الله تعالى وكيلاً ..

٢ – ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ يعني : ألاَّ تتّخذوا ذريّةَ مَن حملنا مع نوحٍ أوصياء عليكم دون الله تعالى .. وهنا .. محاكاة للحبل من الناس ﴿ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ والمذكور في الآية : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ .. بمعنى : أنتم دون الحبل الذي يسخّره الله تعالى لكم من الناس تكونون أذلاء .. فلا تتخّذوا هؤلاء الناس [الذين سخّرهم الله تعالى لكم] أولياء من دون الله تعالى .. هكذا تنطق دلالات هذا النصُّ الكريم ، وهكذا تُفهم دلالات هذا النصِّ الكريم وفق قواعد لسان كتاب الله تعالى .. ولا علاقة لدلالات هذا النصِّ الكريم بتخيّلات التائهين الذين يُسقطون خيالاتهم على دلالات نصوص كتاب الله تعالى ..

.. فما علاقة إسرائيل في الأمر ؟ وما علاقته بسفينة نوح ؟ .. العبارة ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ ترد في إطار نهي بني إسرائيل عن اتّخاذ الناس [[[كون الناس كلِّ الناس من ذريّة مَن حُملوا في السفينة]]] أولياء من دون الله تعالى .. فما علاقة إسرائيل بالمحمولين في سفينة نوح ؟!!! .. من هنا نرى كيف أنَّ الجهالة بقواعد لسان كتاب الله تعالى وبأسس المنطق ، هي الحامل الذي به يتنطّع المتنطّعون ضلالاً وإضلالاً ..

.. وما دمنا في سياق الحديث عن هذا النصّ الكريم ، سنقف عند الحكمة من ذكر هذه العبارة القرآنيّة ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ :

.. البشر كلُّهم بعد نوح عليه السلام ، هم من ذريّة نوح ، كلّهم ، وهذا واضح في كتاب الله تعالى في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾

.. فالآية : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ ليست بحاجة لشرح .. وهذا يتأكّد معنا أيضاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ .. فالعبارة : ﴿ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ ، تخاطب كلَّ إنسان على وجه الأرض ، بأنَّه – كنسلٍ عبر الآباء – كان محمولاً في السفينة ، عندما عمّ الطوفان كلَّ الأرض ..

.. ويبقى السؤال مطروحاً : ما دام كلُّ البشر الحاليّين [بنو إسرائيل وغيرهم] هم من ذريّة نوح ، فما الدلالة التي تُضيفها العبارة : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ ؟ ..

.. نوح عليه السلام حُمل – في السفينة – هو وأهله والذين آمنوا ، فأولاده الذين آمنوا حُملوا معه ، وذريّة أولاده هم من ذريّته ، وهنا علينا أن نميّز بين أمرين :

١ – ذريّة نوح من أولاده الذين أنجبهم قبل الطوفان والذين حُملوا معه في السفينة ..

٢ – ذريّة نوح من أولاده الذين أنجبهم بعد الطوفان ، والذين لم يُحملوا في السفينة كونهم أُنجبوا بعد الطوفان ..

.. العبارة ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ تبيّن لنا أنَّ بني إسرائيل يعودون لذريّة أولاد نوح الذين أنجبهم قبل الطوفان ، والذين حُملوا معه في السفينة ..

.. إذاً .. استشهادهم بالعبارة ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ على أنَّ إسرائيل كان محمولاً في السفينة مع نوح عليه السلام ، يُدرك فساده مَن يملك حدّاً أدنى من إدراك دلالات نصوص كتاب الله تعالى ، فضلاً عن الدليل الدّامغ الذي بيّناه في كون إسرائيل من ذريّة إبراهيم عليهما السلام ..

وممّا يبيّن حجم التيه الذي يغرقون فيه بقولهم بأنّ إسرائيل من عصر آدم عليه السلام ، وأنّه حُمل مع نوح في السفينة ، ممّا يؤكّد ذلك هو الآية الكريمة :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾

ما نراه – في هذه الآية الكريمة – أنّه هناك محطّات أساسيّة في رسالات السماء إلى الأرض .. فأوّل محطّة كانت بوجود بني آدم ككائنات مكلّفة : ﴿ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ .. وبعد ذلك .. هناك محطّة أُخرى يكون فيها نوحٌ أباً للبشر الذين خلفه كما بيّنّا :

﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ .. وبعد ذلك .. هناك محطّة أُخرى بدأت بإبراهيم عليه السلام كأبٍ لمن بعده من الأنبياء ، حيث في هذه المرحلة فرعان : فرع إسماعيل الذي منه خرج النبيُّ محمّد عليه السلام ، وفرع إسرائيل الذي خرج منه كلّ أنبياء بني إسرائيل : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، وما نراه هو ذكر إسرائيل الذي هو ذاته من ذريّة إبراهيم ، كون إسرائيل أباً لبني إسرائيل ولكلّ أنبياء بني إسرائيل .. وبعد ذلك .. هناك مرحلة لم يُذكَر فيها اسمٌ محدَّدٌ بعينه : ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ لتشمل كلَّ الذين هداهم الله تعالى واجتباهم بعد ختم الرسالات السماويّة بالرسالة الخاتمة التي حملها النبيُّ محمّدٌ عليه السلام ..

أيُّ إنسان سليم الفطرة يعلم أنَّ آدم خرج من ذريّته كلُّ البشر والأنبياء ، دون استثناء .. ويعلم أنَّ نوحاً ذاته هو من ذريّة آدم .. وأنَّ إبراهيم هو من ذريّة آدم ، وفي الوقت ذاته هو من ذريّة نوح .. وأنّ إسرائيل هو من ذريّة إبراهيم ، وفي الوقت ذاته من ذريّة نوح ، وفي الوقت ذاته من ذريّة آدم .. ويعلم أنَّ هذه الآية الكريمة ترسم لنا مراحل زمنيّة ابتداءً من آدم عليه السلام .. وهنا نسأل : كيف للمتوهّمين أن يتوهّموا أن إسرائيل من عصر آدم ، وأنّه كان في السفينة مع نوح عليه السلام ، وهم يرون بأعينهم ترتيب ورود [إسرائيل] في آخر هذه الأسماء ؟!!! ..

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾

العبارة : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أليست معطوفة على العبارة : ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ المعطوفة على العبارة : ﴿ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ ؟ .. كيف يكون الاسم : [إسرائيل] الوارد في نهاية ترتيب هذه الأسماء موجوداً قبل عصر إبراهيم ؟ !!! ..

.. من هنا نُدرك حجم التيه عند الذين يضعون تصوّرات مُسبقة الصنع من مادّة أهوائهم ويبحثون لها عن مقدّمات لا أساس لها وينقضها كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ..

.. البحث المنهجي السليم ، له أُسسه ، ومن أهم هذه الأسس قواعد لسان كتاب الله تعالى ، وعدم فرض نتيجة مسبقة الصنع من مادّة الهوى ، وعدم اعتبار الموروث بكليّته صحيحاً ، وعدم اعتبار الموروث بكليّته خاطئاً .. فالحق له هويّة جليّة هي امتلاك الدليل الدامغ من كتاب الله تعالى .. والباطل له هويّة جليّة هي امتلاك الدليل – على بطلانه – من كتاب الله تعالى ..